3

جماليات أنسنة الطبيعة عند الشاعر رعد عبدالقادر

(دراسة تحليلية في نماذج من المجلد الأول)

م.د.ماهر هاشم إسماعيل عبدالله

Maher Hashem Ismail Abdullah

جامعة ديالى – مركز التعليم المستمر

dr.maher.hashem@uodiyala.edu.iq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد المصطلحات النقدية والأدبية الحديثة، والتي أعارها النقاد والباحثين عناية وافرة، والتي هي من بنيات الصورة الشعرية وهو مصطلح الأنسنة والحرف في الشعر العربي الحديث والمعاصر؛ إذ أنها نقلة جديدة في الشعر العربي الحديث لتأسيس معنى أدبي جديد أو لربما هي عملية لتحضير الصفات الإنسانية لشخص ما تعذَر حضوره في الواقع؛ لأسباب زمانية أو مكانية تمنعه من الحضور لحظة بدأ الحوار، مما يتيح للشاعر أن يسمو بخياله بعيدا ليلبس مفردات الطبيعة ثوب الشخصية المحاورة.

والهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن ظاهرة تقنية الأنسنة في شعر الشاعر رعد عبدالقادر وتشخيصه لها من خلال إطلاق العنان لمخيلته التي منحت بعض مظاهر الإنسان وحواسه لمقتنيات الطبيعة ليخرجها بذلك من عتمة الجمود ويلبسها ثوب الحياة بمشاعر انسانية بشرية ذات طاقة متجددة، ويضفي على النص ديناميكية البلاغة الشعرية، ولقد جاءت الدراسة في مبحثين تناول الأول التعريف بمصطلح الأنسنة والحديث عن مفهومه وأغراضه، في حين تناول المبحث الثاني مظاهر أنسنة الطبيعة في بعض قصائده في الأعمال الشعرية الكاملة / المجلد الأول، وتضمن أنسنة الأشياء الملموسة والمحسوسة ومفرداتها وأنسنة الأشياء المعنوية.

الكلمات المفتاحية: **رعد عبدالقادر/ الأنسنة / التشخيص / الصورة الشعرية.**

:Abstract

This study aims to identify modern critical and literary terms that have received ample attention from critics and researchers, particularly those relating to the structures of poetic imagery, specifically the concept of humanization and letters in modern and contemporary Arabic poetry. This represents a new turn in modern Arabic poetry to establish a new literary meaning or perhaps a process of preparing the human attributes of an individual whose presence is diminished in reality due to temporal or spatial reasons preventing them from being present at the moment

the dialogue begins. This allows the poet to elevate their imagination to don the vocabulary of nature with the attire of the conversational .character

The goal of this study is to reveal the phenomenon of the technique of humanization in the poetry of the poet Raad Abdul Qader and to diagnose it by unleashing his imagination, which granted some aspects of humanity and senses to the possessions of nature, thereby freeing them from the darkness of stagnation and adorning them with the garment of life infused with human feelings that possess renewable energy, adding dynamism to the rhetoric of poetry. The study consists of two sections: the first discusses the definition of the term humanization, its concept, and purposes, while the second addresses the manifestations of the humanization of nature in some of his poems from the complete poetic works / Volume One, which includes the humanization of tangible and perceived objects and their vocabulary, as .well as the humanization of abstract things

Keywords: Raad Abdul Qader / humanization / diagnosis / poetic imagery

المقدمة:

جاء مصطلح الأنسنة في قاموس النقد الأدبي الحديث يدل في مختلف مفاهيمه على التجسيد والتشخيص، ولا ينجو من وقع المفهوم الفلسفي، بل ويصل إلى واختلفت على تسميته بعض الفرق كونه مرتبط بخيال الإنسان، فمنهم من أصل له وربطه بالعصور القديمة وعد تعريف الأنسنة لايخرج من معنى التشخيص – بمعنى جعل الشيء شخصاً – مستدلين على ذلك بعباد

الأصنام، إذ يصنع جسمه ويطلق العنان لمخيلته في اختيار شكله، ليصبح صنما للمناجاة وطلب الحاجة منه ومحاورته أحيانا والإيمان بكل ما يترتب على الاله الحقيقي من حياة وخلود.

إن دراسة مصلح الأنسنة بغض النظر عن تعدد مرجعيات المصطلح له أهمية بالغة ، وتأتي تلك الأهمية من خلال ارتباطه بالصورة الشعرية ارتباطا وثيقا لما يحققه من تكامل فني يلقي بضلاله على شعرية النص وأبعاده الدلالية، لذا توجب الاهتمام به ودراسته بأبحاث منفصلة.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الأتية:

1- ما هي تقنية الأنسنة ؟

2- ما هي أشكال تقنية الأنسنة فى أعمال الشاعر؟

3- كيف تجلت ظاهرة الأنسنة لدى الشاعر ومدى اثرائها النص؟

ويهدف هذا البحث إلى بيان المقصود بمصطلح الأنسنة عموما، والمرور على بعض الراحل التاريخية التي تكون فيها المصطلح، والحديث عن أهمية ربط المصطلح بالصورة الشعرية والأبعاد الدلالية، وبيان آلية ربط الشاعر رعد عبدالقادر المصطلح بالمعنى في قصائده.

وفي حدود علم الباحث فإنه ليس هناك دراسة مستقلة تناولت تقنية الأنسنة في شعر الشاعر رعد عبدالقادر، وربطته بالسياقات والمفاهيم الدلالية مما يمنح البحث جدة وابتكارا.

أما بالنسبة للدراسات التي تناولت موضوع الأنسنة في الشعر العربي فهي مقلة نوعا ما ، ولكن لابأس من إيراد بعضها خصوصا تلك التي أفاد منها البحث:

دراسة: مفهوم الأنسنة وتطورها عند الشاعر سيد حيدر الحلي 1402هـ، وقد أفاد منها البحث كونها تناولت قدرا كبيرا من صور الأنسنة، إذ تميز البحث بجانبه التطبيقي.

دراسة: أنسنة الليل في شعر ذي الرمة، عبدالكريم يعقوب وديمة يونس، 2015، وقد أفاد البحث منها خصوصا في الجزء الذي تحدث عن أثراء الأنسنة للصورة الفنية من خلال أنسنة الزمان والمكان.

دراسة: الأنسنة في شعر ماقبل الإسلام، حكمة شافي الأسعد، وقد أفاد منها البحث في الجانب النظري المتعلق بمرجعية المصطلح.

دراسة: أنسنة الشعر مدخل إلى حداثة أخرى فوزي كريم أنموذجا، حسن ناظم، 2006، وهي دراسة تطبيقية على مجموعة من القصائد للشاعر فوزي كريم، وقد أفاد منها البحث في جانبيه النظري والتطبيقي، في حين أنه تميز عليه في الجانب التطبيقي للبحث.

وهناك عدد ليس بقليل من الدراسات التي تناولت مصطلح الأنسنة لامجال لذكرها هنا، وإنما نكتفي بهذا القدر فحسب.

وتمضي هذه الدراسة في خطوات المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد الظاهرة، وحشد معانيها ضمن ديوان الأعمال الكاملة – المجلد الأول، للشاعر رعد عبدالقادر، ومن ثم استقراء النتائج والاستنتاجات.

وبناء على ماتقدم فقد جاءت الدراسة على مبحثين، تناول المبحث الأول منها التعريف بالمصطلح وإثراء معناه، في حين تناول المبحث الثاني مظاهر تقنية الأنسنة في قصائد رعد عبدالقادر، وقد برزت عدة أنماط للمصطلح منها أنسنة الجمادات وأنسنة النباتات وأنسنة الأجرام السماوية وأنسنة الموجودات المعنوية.

البحث الأول: مصطلح الأنسنة:

يعد مصطلح الأنسنة من أهم المصطلحات النقدية الحديثة، كونها يملك حضورا مميزا ولافتا في معظم النتاجات الأدبية، ويرتبط بعناصر أساسية وأكثر شمولية منها: الصورة الفنية والشعرية والخيال، إذ يمكن من خلال هذا المصطلح والمصطلحات المرتبطة به الحكم على أي نتاج أدبي

بأنه ذو مستوى فني مرموق، أو أنه دون ذلك، وفي كلا الحالتين لابد من الوقوف على طبيعة ذلك النتاج ودراسته وتحديد هويته لأنه بالتأكيد يحتوي على جوانب شعرية أو نتاج ذو ملامح فنية، وهذا يدل على أن مصطلح الأنسنة من بين المصطلحات التي ترفد الحكم النقدي.

أولا: الأنسنة مقاربة اصطلاحية تاريخية:

جاء مصطلح الأنسنة كغيره من المصطلحات النقدية المعاصرة فقد تباينت تعريفات هذا المصطلح، انطلاقا من طبيعة القواعد التي يسير عليها النقاد في مجال الدرس البلاغي هذا من جهة ، وطبيعة المعايير التي يتبعها الناقد في الحكم على النتاج الفني تبعا لخصائصه الشعرية من جهة أخرى(1).

وانطلاقا من هذا المفهوم فقد اختلف تعريف هذا المصطلح عند مراجع الدرس النقدي والادبي، فضلا عن اختلاف بالمعنى الفلسفي وذهب أغلبهم بان استخدام هذا المصطلح في الدراسات الحديثة قد جاء في الغالب للتعبير عن النزعة الإنسانية ، ولقد توجه هذا المصطلح لمصلحة الدرس الأدبي والنقدي على أنه رؤيا خاصة للشاعر يسخر من خلالها خياله لتوظيف الموجودات، وإضفاء الصفات البشرية على المكان والزمان والحجر والشجر والحيوانات والجمادات وبذلك يحقق الغاية المنشودة وهي العمق المعنوي للنص الأدبي(2).

ومن خلال لفظ هذه الكلمة نستطيع القول بأنها مشتقة من لفظ إنسان، والإنسان بطبيعته إما يكون ذكراً أو أنثى، وقد تعددت الاراء في جمع هذه الكلمة فقال الفيومي في كتابه المصباح المنير: إن مفردة الإنسان مأخوذة من لفظة الأُنس، وذهب بعضهم على أنها مأخوذة من لفظة النسيان.ولقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن لفظة الإنسان أصلها إنسيان، لأن العرب كانوا يقولون بتصغيره إنيسيان، فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم (3).

ويقول المنذري عن ابن الهيثم: كانت لفظة الناس أصلها الأناس، لأن أصلها أناس والألف فيها أصلية، ثم زيدت عليها اللام التي تزاد مع الألف للتعريف صار اللفظ الأناس، فلم استثقل الناس الهمزة أسقطوها وجعلوا حركة اللام الضمة، فلما تحركت اللام والنون أدغموها فصارت الناس(4).

والإنسان هو مجموعة من الحواس والخواص الظاهرة والخفية، فمنها مايتعلق بالبدن ومنها ما يتعلق بجوهر البدن، يقول أبو البلقاء الكفوي في معجمه : " ثم أعلم أن الشيء الذي هو إنسان في الحقيقة، أجزاء لطيفة سارية في هذا البدن، باقية في هذا البدن من أول العمر إلى اخره، وفي حديثه عن جوهر البدن يقول: الإنسان عبارة عن جوهر مجرد من الحجمية والمقدار، فداخل الإنسان هو الحالة النفسية بما تحتويه من اختلافات وتباينات وتموجات" (5).

والأنسنة هي التشخيص، فعندما يمنح الشاعر من حواسه وجوهره للموجودات، يظهر بوضوح ما كان يخفيه من تفاعلات روحية من فرح أو حزن أو اضطراب أو قلق وما إلى ذلك من أحاسيس شخصية مكنونه(6).

بمعنى آخر جعل الموجودات أشخاص، وهذا ما سمي بالتشخيص، ونشأ هذا المصطلح مقترنا بمصطلح الخيال لأنه الأداة الفاعلة لتثبيت أركانه، يقول جابر عصفور في الصورة التشخيصية: هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة، التي يمارس من خلالها فاعليته ونشاطه (7).

أو هو أحد التقنيات الأدبية والنقدية التي تطرق الأسماع حديثا ويمكن تعريفه بإيجاز هو كل غير بشري ونلبسه صفة بشرية، أو نمثله في صفة بشرية، أي أنسنته؛ حيث يتم إنزال غير العاقل من الحيوان أو النبات أو الجماد أو المعاني المجردة منزلة العاقل من حيث النطق والحواس والتغيرات النفسية والحركة .

والمتتبع لتاريخ مصطلح الأنسنة يجد أنه قد ورد في مواطن كثيرة منها أن القران الكريم قد استخدمه لدواعي بلاغية وإعجازية كقوله تعالى: { وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا } (8)، إذ يضفي الله سبحانه وتعالى فعل السير على الجبال رغم أنها صفة بشرية ولكنه أراد أن يعكس من خلالها مشهد من مشاهد يوم القيامة، كذلك قوله تعالى: {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}(9)، وصف الله سبحانه وتعالى ذلك اليوم بالعبوس وهي صفة إنسانية إذ يقال: إن فلان وجهه عبوس، أي تملك محياه اليأس والشئم، وهي صفة إنسانية وصف الله بها هذا اليوم لشدة بؤسه على الكافرين، والشواهد كثيرة في القران الكويم والأحاديث القدسية والنبوية.

أما البعد الفني لهذا المصطلح في سياق الدرس الأدبي والنقدي فله وقع مبهر لما يسوق له من سعة الخيال وجمال التعبير وصدق العاطفة، فقد انبثق من مصطلح الاستعارة والتشبيه وتراسل

الحواس ممتزجا بالخيال ليصبح مصطلحا يعزى له جانب غير يسير من بنيات الصورة الشعرية، فلا نجد نتاجا أدبيا يخلو من هذه التقنية، وتقسم مظاهر الأنسنة في الشعر العربي إلى قسمين أساسيين هما:

أولا: أنسنة الأشياء الملموسة والمحسوسة: وتتمثل صورها بالآتي :

1- **أنسنة الحيوان:**

أعتنى الإنسان منذ قديم الزمان بالحيوانات، إذ كانت تشاركه بيئته ويعتمد عليها في رزقه وقوته، وكان يعتبرها زينة للتفاخر أيضا فضلا عن جدواها الاقتصادية، وكانت قصائد الشعراء لاتخلوا من الغزل بخيولهم وإبلهم حتى أوصلوها مرتبة التقديس، هي وبعض الحيوانات التي تساكنهم أو تتخام مناطق سكناهم، فكانوا يتطيرون ببعضها، ويفألون بالأخر، مما جعلها شريكة حياتهم وأفراحهم ومآسيهم، بل إن بعض الشعراء كانوا يخاطبونها بقصائدهم يريدون بذلك أنفسهم، وهذا يعد عند البلاغيين من التجريد، وهو أن تخاطب به غيرك وأنت تريد به نفسك(10).

ولبيئة العرب أهمية ملحة في فرض مصطلح الأنسنة، فالصحراء تفضي أحاسيس عدة منها الألم والحزن والتيه، وعلى عكسها الحب والشوق والتفكير بالوجود، وبرز هذا من خلال حجم النتاجات الأدبية وكتاباتهم الشعرية خصوصا في حضارة بلاد الرفدين إذا كانوا يمتلكون أعظم نتاج أدبي يتعلق بقصص الحيوانات، كما هو الحال في كتاب (كليلة ودمنة) لصاحبه ابن المقفع إذ جاءت كل قصصه على ألسنة الطيور والبهائم، فجمع بين طياته الحكمة والطرفة(11).

2- **أنسنة الأشجار النباتات:**

يمثل هذه النوع من الأنسنة كماً زاخراً من الصور الفنية في الشعر العربي، ويعود ذلك لأسباب عدة منها:

أ- طبيعة البلدان العربية وأهمها حضارة بلاد الرافدين، إذ كانت ولاتزال مزدخرة بالزرع والطبيعة الخلابة.

ب- الارتباط الوثيق بين الشاعر ومحيطه، فكل إنسان يؤثر ويتأثر في بيئته بحسب ماتحتويه هذه البيئة من عناصر وأدوات(12).

ت- الذائقة الشعرية وقابلية انتاج الصورة الفنية التي يتصف بها الشاعر العربي.

ولما اجتمعت تلك العناصر في شخصية الشاعر انعكس ذلك على تكوين الرموز الطبيعية المهمة في القصيدة العربية، فهي من أغنى الموضوعات وأكثرها شيوعاً(13).

3- **انسنة الجماد:**

والجمادات من الجبال والحجارة والأجرام السماوية قطعت شوطا طويلاً في الشعر العربي منذ نشأته، لما لها من صور متعددة تناغم الإنسان وتقلباته النفسية، وهذا النوع بالتحديد له أثر تاريخي ساطع إذ استعمله ابن رشد في قوله : "إقامة الجماد مقام الناطقين"(14).

ولما كانت صفات الشموخ والرفعة والقوة والشدة والقسوة والسطوع والغنى يلزم غالباً صفات الجمادات عمد الشعراء إلى أنسنة هذه المعاني الرفيعة، ليخلقوا بها نصاً منسجماً يعبر عن ما يدور في أروقة النفس وخبايا ومكنونات الوجدان.

ثانياً: أنسنة الأشياء المعنوية:

ويشمل هذا النوع العديد من المعاني التي سنها الإنسان بفطرته، مثل السنة والحول والدهر وما إلى ذلك، ولما كان هذا النوع ذو عمق عقلي إدراكي فإنه بكل تأكيد سيغني الدرس الأدبي والنقدي، فالشعر في بنيته يعتمد على مصدرين أساسيين هما القريحة الشعرية وخبايا النفس البشرية، والعقل يتناغم تناغماً متجانساً مع هذين المصدرين ليترجم المعطيات إلى نص أدبي متكامل.

المبحث الثاني: حضور مصطلح الأنسنة في شعر رعد عبدالقادر:

شاعت تقنية الأنسنة في الشعر العربي الحديث بصورة واسعة لاسيما في الخمسينات والستينات وصولا إلى وقتنا الحاضر، وعمد بعض الشعراء في استعمالها إلى الحد الذي جعل منهم يعد القصيدة مكان لتسخير موجودات الطبيعة إذ يقيم جل حواراته معها، إضافة إلى كونها متنفسا لاستخدام تقنيات أخرى ترتبط مع هذا المصطلح مثل تقنية القناع والرمز محاولين المزج بين المظاهر الطبيعية والتعبير المجازي للنص الشعري، ليفجرون بذلك طاقات معرفية وأدوات اجرائية تدور في مخيلتهم مما يعزز انتاج دلالة النص، ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر العراقي

رعد عبد القادر الذي استعمل الكثير من موجودات الطبيعة في شعره مؤكدا أهمية تلك الموجودات في انتاج دلالة النص الشعري .

إن المتتبع لنتاج الشاعر رعد عبد القادر منذ ديوانه الأول (مرايا الأسئلة 1979) يجده شاعر السيميائيات، إذ يستدعي الكثير من الخيال للتعبير عن المعاني الدلالية للكلمات، والتي بدورها تتحفّز للمطاوعة والتحوّل، او للتعبير عن أنسنة الغياب، ولإنتاج الدلالة، إذ إنّ ما تلتقطه عينيه من موجودات تحلله الكلمات إلى أحاسيس، وما تمر به من مواقف يومية حتما ستكون مشاعر تتدفق بين أبيات قصائده، لايكون بعيداً عن التلذذ الصوفي ، لتكون (خبايا حواسه) هي المرجع الأوحد، ويكون الخيال مصنع استدعاء الصورة الفنية، ففي قصيدة « المطر» يقول:

تلك الكفُ التي توزع الخواتم

تلبسها أصابع الأحجار والحيوانات

الأشجار والأطفال..

لامسي أيتها الكف جذوري (15)

أثار هذا النص بما يحمل من ألفاظ ركّبها الشاعر من فضاءاته الذهنية والفلسفية صوراً عديدة، إذ أن صورة الأحجار والأشجار والحيوانات تراكمت في أذهاننا كأنها إنسان ، فتصورنا للحظة أن هذه الموجودات تشاركنا في حليتنا، وإن جملة (الكف التي توزع الخواتم) بمعناها الدلالي إنما تنم عن اسباغ العطاء وهذا المعنى متجذر من العتبة السيميائية للقصيدة، يجرنا هذا المعنى إلى أن الشاعر كان على مقدار عال من الرضا النفسي والذهني، ليسمو بروحه ويعانق الموجودات بأشكالها بفيض عطائه، إن فلسفة الشاعر في اقران الموجودات بشعره إنما تنم عن خيال واسع، إذ أن الشعر فلسفة من حيث أنه محاولة اكتشاف أو معرفة الجانب الآخر من العالم، أي الجانب الميتافيزيقي(16).

ويقول الشاعر في قصيدة الريح:

الريح مليئة بالزمان

الريح ذلك الرجل القديم

بائع الأسطوانات القديمة

يدور في البلدان

يسكن الكهوف والغابات والأديرة

وينام في الحانات والأضرحة

رأيته، يعلق الأسطوانات القديمة في غصون الأشجار

ويدحرجها كالكرات في الشوارع

ويسيرها مراكب في البحر.. تلك الأسطوانات..

والآن أحسست بالخطى

تتقدم في ممراتي وتلامس نوافذي

وتدخل غرفتي..

الأصداء تفرش المائدة والسرير

وتفتح الكتب وتقلب الأوراق..(17)

يرسم الشاعر في هذه الأبيات أكثر عدة صور فنية توالت على خط ملامحها استعارات واضحة تجلت في مفهوم الأنسنة أو التشخيص، والمتتبع لمعاني الريح في الشعر الجاهلي يجد أن توظيف الشاعر لهذا اللفظ لم يكن صدفة بل عن دراية وعلم امتزجت مع ذائقته الشعرية لتنسج صورة فنية راقية في أروقة خياله، فالصورة الأولى هي في قوله: (الريح مليئة بالزمان) والزمان هو الذكريات، والتي بالتأكيد تدل على ذاكرة تعج بالأحداث من الأفراح والأحزان والمآسي وكل ماتحمله الذاكرة الإنسانية من تقلبات وتحولات، والريح في دلالتها الحركية إنما تدل على تقلب أو شدة، ومنها يتضح المعنى ليكون مايعيشه خاطرته من عصف لدفاتر الذكريات .

والصورة الثانية هي تشبيه تلك الريح التي تقلب نسائمها ذكرياته بالرجل القديم، الذي أنهكته الأيام والأحداث، وفيها أشارة إلى الانهاك والجزع والفراغ الذي تركته فيه مرابط الشباب، حيث الحياة المفعمة والطاقة المتجددة، وزحمة الأحداث، ليكابد مرارة العزلة وقلة الحيلة، وتتوالى أبيات القصيدة تشرح حال ذلك الرجل القديم أنساه الدهر محاطات حياته وبقيت كأوراق مركونه في ذاكرته لتأتي الريح وتعصف بتلك الأوراق وتبعثرها أمام ناظريه، لتجبره على أعادة تدويرها مقاسيا بذلك مرارة الوحدة وعصف الذكريات .

لينسج الشاعر بهذه الأبيات صورة فنية راقية ربما تعبر عن ماكان يعيشه أو فكرة عامة استقاها من محيطه, إذ أن إبراز الماهيات والأفكار العامة والعواطف فى رسوم وصور وتشابيه محسوسة ، هي في واقعها رموز معبرة عنها، وتقوم الأنسنة بوظيفة مهمة تتمثل في توضيح المعنى وابانته ، فضل عن كونه عنصر يضفي جذبا وحبكة وتزين الصورة وتجميلها(18).

والمتتبع لشعر رعد عبدالقادر يجد أنه على الرغم من وجود الفاظ ومسميات الظواهر الطبيعية المتداولة عند اغلب الشعراء إلا أن شاعرنا منحها شعرية أعمق من خلال توظيفها في السياق الشعري من خلال تقنية الأنسنة، ليثري بذلك الفكرة الموضوعية والوجدانية للنص.

ويقول في قصيدة (سؤال الأرض) :

من هذا الذي أيقظ كائناتي ؟

من هو الذي، صوته يرعى في بريتي ؟

ماهذا الضباب الأخضر الخفيف الذي يتقدم ؟

ليأت.. سأمنحه شمعداناتي وايقوناتي وموالدي ليأت

ليات.. سأمنحه كهوفي ومغاراتي وينابيعي.. ليأت

ليأت.. مع الصمت، سامنحه مزاميري، ليأت..

ليأت مع الظلمة، سأمنحه صباحي.. (19)

تتساءل الأرض كإنسان يسمع ويرى ويدرك، ويتصاعد هذا النسق التساؤلي المتخم بالكبرياء والتعالي حتى يولد منه اجابات تقريرية تنم على العطاء المشروط، مما يدل على قوة الشخصية وحب التملك، وهنا برع الشاعر في دمج تقنية القناع المخترع مع تقنية الأنسنة ليطلق عنان الأنا العليا في قصيدته، ليتجاوز بذلك الرموز والشخصيات ويشيد بذلك ملكة حوارية مع ذاته فالشعر غالبًا ما تسيطر عليه الأنا، وينبثق عن ذاتية صاحبه وإن كانت هناك نصوص تحاول إخفاء تلك الذات حينما تعتمد على السرد، لكن تلك الذات "تتماسك أحيانًا حتى تصير موجودًا حيًا ظاهرًا قابلًا للتموقع والتشكل (20).

ويقول في قصيدة (ورقة الاحتفال):

أنا البئر الصالحة

تشبثوا بأحجاري الملساء

لاتقطعوا النبات الذي نما على جسدي

احتفظو بخضرته

واهبطوا.

كالنواقيس

كالأراجيح

اهتزوا في قلبي.. أيها الساكنون (21)

لقد استعان الشاعر بإحساسه المرهفة، التّي التقطت أدق الصور، وقدّمتها لحنا تسمعها الأذن، ومنظرا طبيعيا خلابا تراه العين، وشيئا ملموسا يدركه العقل بكل تفاصيله، لينتج عن ذلك تأثيراً عميقا في أغوار النّفس، فتشكلت صورته البصرية والذهنية في براعة فائقة، وزاوج بمقدرة راقية بين السمة البشرية المحمودة المتمثلة بالعطاء الدائم والتفاني في البذل مع ذات الصفات في الجماد ، والواضح في تلك الصّورة الحسية المؤنسنة كانت أعمق من ذلك، وهي الرّبط والمزاوجة بين سمات الذات البشرية وسمات الموجودات التي من صنعهن "هذه المزاوجة البسيطة التّي

تذوب فيها الفوارق بين جماد وإنسان، وتتهاوى الحواجز التكوينية التّي تفصل بينهما، حيث تتلاقى الصفات المتباعدة في مجال واحد يتم فيه الرّبط بينهما، وفي هذا الرّبط يكمن سرّ من أسرار عمق الدلالة الفني في شعر رعد عبدالقادر، وخاصة من أدق خصائص الصّناعة الفنيّة عنده، ما جعل هذا الربط بين النفس البشرية بما تحمله من صفات سامية من البذل والعطاء وخدمة الناس دون مقابل ، وذلك البئر الذي رغم قساوة جدرانه إلا أن عطائه لاينضب للبشر والزرع الذي يحيط به ليكون حاضنة للبذل دون انتظار مردود.

حين نقرأ شعر نقرأ شعر رعد عبد القادر نحس بجمالية في صوره، لتغدو لوحة راقية نابعة من إحساسه المرهف واتقانه لزج الحركة الحوارية في نصوصه، وهذا يدل حتما على دقه تأمله العميق، وصفاء ذهنه الذي كان يبحر فيه مناظر الطّبيعة وجميع موجوداتها ، فانطبعت فيه روح تأمل واسعة ، وهي روح كانت أيضا ذات خيال عميق وبعيد.

ويقول في موضع آخر :

الموسيقى تنزل على سلالم القلعة القديمة العالية..

القلعة ذات الأبراج السبعة

وإذ تنزل الموسيقى

يصبح لها أتباع من كل برج

يركضون خلفها

وإذ تصبح خارج القلعة

يرفعها الأتباع عاليا، ويسيرون كالأمواج في الأقاليم (22)

تلعب الموسيقى دورا مهما في حياة الأنسان، إذ تعتبر لغة الروح السامية والمؤثرة في أحواله وأفعاله سلبا أو إيجابا، لذلك يختارها الأنسان حسب أوقاته وأحواله أ لمشاعر معينه قد تجتاح روحه، كما تتمتع بقدسية لامحدودة عند الشعراء كونها الأنيس لروحه ومرافقة تقلباتها من جهة ومن جهة أخرى كونها ارتبطت بعمود الشعر العربي منذ نشأته، من هنا بدأ الشاعر بوصفها

كأميرة جميلة تسكن قلعة محصنة بأبراج طلتها أشبه بشروق يوم جديد ولها حراس ومحبين ، تنثر البهجة في مطلعها ويعم الفرح والسعادة الأنيقة محيطها حتى ترتقي بأرواحهم ليعانقوا عرشها، وتسموا عواطفهم وأحاسيسهم ليصبحوا كموج هادئ يمتزج مع مروج الأزهار في الأقاليم، جسد الشاعر هذا المعنى السمعي الحسي إلى معنى بصري راق جدا بواسطة استخدامه لتقنية الأنسنة ليخلق بذلك زخما فنيا نفسيا للمتلقي، وينشئ رابطا وعييا ولا وعييا و سمعيا وبصريا موضوعيا ولا موضوعيا في نفس الوقت.

ويقول في موضع آخر :

في الصبح خرجت الكائنات

من الكهوف والغابات والجبال والمحيطات

خرجت الحيوانات

والنباتات استقرت في عربات الريح.

الأحجار سارت

الاصوات ، الألوان

كلها اجتمعت واصطفت أمام نهر من الرماد

كان يطفو على النهر غصن ومنديل.

وأمام الغصن والمنديل غنت الكائنات (23)

يضيف الشاعر في هذا النص زخما فنيا وموضوعيا هائلا من خلال استعماله لصور الطبيعة بشقيها الصامته والمتحركة ، ويخلق نصا يحاول أن يخلق به حركة حوارية من خلال تعدد أركان المشهد، إذ يستعمل مشهد خروج الحيونات صبحا من ثغورها ومغاراتها وكهوفها ومحيطاتها المظلمة في دلالة على بزوغ يوم جديد وحالة من النور بعد عتمة وليل طويل، والتي كانت تسكنها وتلجأ إليها مجبورة غير مسرورة، ومن بقي خارج هذه الملاجئ والبيوت فيكون مصيره كمصير النباتات تقاوم بلا جدوى مهب الريح، فتنتهي تلك الأحداث ويخرج من نجا من تلك

العتمة والريح في مجاميع تسير على الاقدام لتقف أمام صورة قاسية من آثار الدمار حيث ركام الرماد وآثار الخراب، الذي لم ينتهي إلا بالرضوخ والاستسلام ، ففي هذه المشاهد دلالة واضحة على العدوان الأمريكي عام 1990، والذي أجبر الشعب بكل طبقاته وأطيافه على اللجوء إلى الملاجئ المحصنة خوفا من القصف البربري الذي لم يبقي ويذر، ثم انتهت تلك الحرب برفع راية بيضاء مذلة، رفعت على ركام الأبنية وأكوام الرماد، لقد تحدث الشاعر في مقطوعته الشعرية هذه عن كل شيء يحسه ويكابده مستعينا بكل الموجودات الطبيعية التي يعرفها ليجسد رغم دلالتها المتنوعة ليجسد من خلالها الحالات الفردية والجمعية لأفراد مجتمعه مستعينا بتقنية الأنسنة، خصوصا وان هذه الموجودات مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة الأنسان مما يجعلها رموزا جلية واضحة لاتحتاج إلى تعريف، وحرص الشعراء منذ العصر الجاهلي دوما على ربط أحاسيسه بالطبيعة لمعرفته أنها ترتبط معه بصور وجدانية مؤثرة . (24)

ويقول في موضع آخر :

في الكتاب عن الأرض قال الزمان:

لجروحي يشقون أثوابهم

لفمي ماؤهم

ليدي عشبهم

لشموسي اصابعهم تستطيل..

صبية..

في الكتاب يقول الزمان

يكونون وجها

أكون مرايا السرور (25)

يمثل الزمان في حقيقته واقعية حصول الحدث الذي يعكس تأثيره بكل تأكيد على النفس الإنسانية، وكلما زاد ذلك التأثير تزداد النفس ثراء وامتلاء لينتج عنه اقترانا لا إراديا، فحركة

الزمان إنما تمثل حركة شعورنا ، فضلا عن انه مرتبط بالمواقف التي يمر بها الإنسان، ففي حال الفرح يقصر الزمن ، حتى تتلاشى تقريبا الساعات لتصبح دقائق، وعلى العكس يحصل وقت الحزن والكدر، وهنا تظهر ثنائية تأثير الزمان في النفس البشرية، فشعور الإنسان تجاه الزمان إنما هو حدث يعيشه ثم يتأثر به سلبا أو إيجابا(26)، ولما كان تأثيره ماضيا في حياة الإنسان بصورة عامة والادباء والشعراء بصفة خاصة فقد تعددت دلالته في الشعر العربي، لا بل وللشاعر زمن خاص يصنعه بنفسه يحكم النص والدلالة، ولما كانت تلك أهميته وتأثيره في النص الأدبي ألبسه شاعرنا شخصية الإنسان وزجه في مقطوعة شعرية ليخلق بذلك حركة حوارية باتجاه واحد مع الأرض، إن استخدام كلمة فمي ويدي إنما هو تشخيص واضع بل ويضفي شخصية الإنسان بكل جبروته وهيمنته، وهذا مايسمى الأنسنة المعنوية.

ومن خلال ماتقدم يتضح أن الملكة الاستعارية دفعت الشاعرَ رعد عبدالقادر إلى رسم تقلبات النفس الإنسانية، من خلال الموجودات الطبيعية المادية والمعنوية ، وإن غياب الصورة الذهنية التي تُعد حسب أركان الاستعارة (مستعاراً له) يحتاج إلى استعارة التجربة الحسية والنفسية ، لذا فإن الشاعر من خلال هذه الملكة استطاع أنسنة الموجودات لأنه وجد تشابها بين أحوال النفس الإنسانية وبين موجودات الطبيعة، وهذا أضاف لنصه شيئا من الغموض الذي يضفي بمجمله نسقا فنيا وموضوعيا رائعا.

الخاتمة:

لقد تمكن الشاعر من خلال ملكته اللغوية والشعرية من تجاوز إدراك موجودات الطبيعة إلى (أنسنتها) عبر الاستعارة، وهي مرحلة إدراكية جمالية بحتة يحاول الشاعر فيها إثبات الشبه بين تلك الموجودات المادية والمعنوية والإنسان، وكل ما على المتلقي أن يطلق عنان خياله لإدراك ذلك الشبه سواء أكان منطقياً أو غير منطقي، فقد رأينا كيف استطاع الشاعر أنسنة النبات والجماد الخ.. باسناد الجوارح والأحوال النفسية للإنسان إليها، ويمكن أن نجمل نتائج البحث إلى النقاط التالية:

1- إن الاستعارة تستند إلى إدراك الموجودات وكشف التشابه بينها، وإن معنى الاستعارة – كما يرى عبد القاهر – لا يُفهم من خلال اللفظ المستعار إنما تدركه العقول والأذهان باعتمادها على الذاكرة التي خُزِّن فيها صورة المستعار منه والمستعار له.

2- إن الاستعارة في اللغة تقتضي وجود شبه بين المستعار منه والمستعار له، وذلك يفتح بابا واسعا للدراسات النقدية لتقصي التجربة الشعرية، والكشف عن طريقة تفكير الشعراء عند صياغة أبنية المشابهة وفقا لتقنية الأنسنة.

3- تنوعت متعلقات الإنسان من ملامح جسدية و أحوال نفسية التي استعارها رعد عبدالقادر ليؤنسن موجودات الطبيعة.

4- لقد استطاع رعد عبدالقادر صياغة عباراته بصور فنية مؤنسنةً معبّرة ، اشترك فيها اللفظ والإيحاء، وقد أظهر فيها قدرتهُ على المزاوجة بين اللغة الفنية وعمق الدلالة، وأظهر تجربته الحياتيه المليئة بالمشاق والصعاب، ونتج عن ذلك شعرا تفاعليا مع موجودات طبيعته.

الهوامش:

1- ينظر: جمعة، حسين: المسبار في النقد، اتحاد الكتاب العرب،ط1، 2003م، ص21.

2- ينظر: مرشد، أحمد: أنسنة المكان في روايات عبدالرحمن منيف، دار الوفاء،2002م، ص 7، 236.

3- ينظر: الفيومي، أحمد: المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت،2014م، ص18.

4- أبن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط3، ص 6،10،11.

5- ينظر: الكفوي، أيوب: الكليات، المكتبة الشاملة Shamela.ws ، ص335.

6- ينظر: فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية، دار الشؤون الثقافية، 1986، ص74.

7- ينظر: عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، دار الشؤون الثقافية، بيروت، 1971م، ص18، 19.

8- القران الكريم، سورة الطور، اية 10.

9- القران الكريم، سورة الإنسان، اية 10.

10- ينظر: الصائغ، عبدالاله: الصورة الفنية معيارا نقديا، وزارة الثقافة، بغداد، 1987، ص30.

11- ينظر: الجندي، علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، 1999م، ص13.

12- ينظر: الجندي، علي: ص19

13- ينظر: نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب الجاهلي، مطبعة مصر، القاهرة، 1945، ص28-29.

14- أبن رشد: تلخيص كتاب الشعر، تحقيق تشارلس بترورث، الهيئة المصرية للكتاب، 1986، ص24.

15- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة ج1، مطبعة الفكر الجديد، بغداد، 2013،ص 105.

16- أودنيس: زمن الشعر ط2، دار الساقي للنشر والتوزيع، بيروت،2005م، ص174.

17- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة، ص107.

18- ينظر: محمد، عدل الله: صورة الفلاح في الشعر المصري الحديث في القرن العشرين، مصر، ص318-319.

19- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة، ص122.

20- ينظر: شطاح، عبدالله: تسريد الذات بين الرواية والسيرة الروائية، المرجع والمتخيل، مجلة اللغة العربية، جامعة بليدة، الجزائر، العدد 16، 2017م،ص189.

21- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة، ص117.

22- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة، ص118.

23- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة، ص120.

24- ينظر: القيسي، نوري: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الارشاد، بيروت، 1970م، ص92.

25- عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة، ص121.

26- ينظر: البستاني، باسل: الزمن وحركة الحياة، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد12، 1987م، ص60.

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

أبن رشد: تلخيص كتاب الشعر، تحقيق تشارلس بترورث، الهيئة المصرية للكتاب، 1986.

أبن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط1.

أودنيس: زمن الشعر ط2، دار الساقي للنشر والتوزيع، بيروت،2005م.

البستاني، باسل: الزمن وحركة الحياة، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد12، 1987م.

جمعة، حسين: المسبار في النقد، اتحاد الكتاب العرب،ط1، 2003م.

الجندي، علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، 1999م.

شطاح، عبدالله: تسريد الذات بين الرواية والسيرة الروائية، المرجع والمتخيل، مجلة اللغة العربية، جامعة بليدة، الجزائر، العدد 16، 2017م.

الصائغ، عبدالاله: الصورة الفنية معيارا نقديا، وزارة الثقافة، بغداد، 1987.

عبدالقادر، رعد: المجموعة الشعرية الكاملة ج1، مطبعة الفكر الجديد، بغداد، 2013.

عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، دار الشؤون الثقافية، بيروت، 1971م.

فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية، دار الشؤون الثقافية، 1986.

الفيومي، أحمد: المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت،2014م.

القيسي، نوري: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الارشاد، بيروت، 1970م.

الكفوي، أيوب: الكليات، المكتبة الشاملةShamela.ws .

محمد، عدل الله: صورة الفلاح في الشعر المصري الحديث في القرن العشرين، مصر.

مرشد، أحمد: أنسنة المكان في روايات عبدالرحمن منيف، دار الوفاء،2002م.

نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب الجاهلي، مطبعة مصر، القاهرة، 1945.

References and Sources

AlQuran Alkarem

.Ibn Rushd: Summary of the Book of Poetry, Edited by Charles Butterworth, Egyptian Book Authority, 1986

.Ibn Manzur: Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, 1414 AH, 1st edition

.Adonis: The Time of Poetry, 2nd edition, Dar Al-Saqi for Publishing and Distribution, Beirut, 2005

.Al-Bustani, Basil: Time and the Movement of Life, Arab Horizons Magazine, Baghdad, Issue 12, 1987

.Jum'a, Hussein: The Probe in Criticism, Arab Writers Union, 1st edition, 2003

.Al-Jundi, Ali: On the History of Pre-Islamic Literature, Dar Gharib for Printing and Publishing, 1999

.Shattah, Abdullah: The Narration of Self between Novel and Narrative Biography, Reference and Imaginary, Arabic Language Journal, University of Blida, Algeria, Issue 16, 2017

.Al-Saigh, Abdul-Ilah: The Artistic Image as a Critical Criterion, Ministry of Culture, Baghdad, 1987

.Abdul-Qader, Raad: The Complete Poetry Collection, Vol. 1, New Thought Press, Baghdad, 2013

.Asfour, Jaber: The Artistic Image in the Rhetorical Critical Heritage, Cultural Affairs House, Beirut, 1971

.Fathi, Ibrahim: Dictionary of Literary Terms, Arab Foundation, Cultural Affairs House, 1986

.Al-Fioumi, Ahmed: The Illuminating Lantern, Modern Library, Beirut, 2014

.Al-Qaisi, Nuri: Nature in Pre-Islamic Poetry, Dar Al-Irshad, Beirut, 1970

.Al-Kafawi, Ayoub: The Essentials, Comprehensive Library Shamela.ws

.Mohammed, Adlallah: The Image of the Peasant in Modern Egyptian Poetry in the Twentieth Century, Egypt

.Murshid, Ahmed: Humanizing the Place in the Novels of Abdul Rahman Munif, Dar Al-Wafa, 2002

.Nawfal, Said: Nature Poetry in Pre-Islamic Literature, Egypt Press, Cairo, 1945